ولم يزل هائما في طريقه الغرامية إلى أن قال .

(وها أنا ذا كالطيف فيها صبابة ... لعلي إذا نامت بليل أزورها) .

هذا المعنى قلبه الصاحب بهاء الدين زهير على من تقدمه فيه وسبكه في أغرب القوالب البديعية وأظنه من مخترعاته .

ثم قال بعده .

(من الغيد لم توقد مع الليل نارها ... ولكنها بين الضلوع تثيرها) .

(تقاضي غريم الشوق مني حشاشة ... مروعة لم يبق إلا يسيرها) .

(وإن الذي أبقته منها يد الهوى ... فداء يشير يوم وافى نصيرها) .

هذا المخلص استعبد الصاحب بهاء الدين زهيرا رقيق ألفاظه بحشمة توريته .

ومثله في الحسن قوله من قصيدة يمدح بها الملك الناصر صلاح الدين بن العزيز مطلعها .

(عرف الحبيب مكانه فتدللا ... وقنعت منه بموعد فتعللا) .

وما أظرف ما قال بعده .

(وأرى الرسول ولم أجد في وجهه ... بشرا كما قد كنت أعهد أولا) .

ولم يزل يدير كاسات صباباته الغرامية إلى أن قال .

(آها لقلب ما خلا من لوعة ... أبدا يحن إلى زمان قد خلا) .

(ورسوم جسم كاد يحرقه الهوى ... لو لم تبادره الدموع لأشعلا) .

(ولقد كتمت حديثه وحفظته ... فوجدت دمعي قد رواه مسلسلا) .

(أهوى التذلل في الغرام وإنما ... يأبى صلاح الدين أن أتذللا) .

وما أحلى ما قال بعد المخلص .

(مهدت بالغزل الرقيق لمدحه ... وأردت قبل الفرض أن أتنفلا) .

ويعجبني أيضا من مخالص القاضي كمال الدين بن نبيه قوله من قصيدة يمدح بها الخليفة الناصر لدين ا مطلعها .

(باكر صبوحك أهنى العيش باكره ... فقد ترنم فوق الأيك طائره)